ينابيع الخدمة (٩٤)

الكلمات الأخيرة

تأملات مختصرة في كلمات المسيح على الصليب



بقلم

فخري كرم يوسف

مارس ١٩٩٠

لجنة خلاص النفوس للنشر

الكلمات الأخيرة

تأملات مختصرة في كلمات المسيح على الصليب

بقلم

فخري كرم يوسف

مارس ١٩٩٠

يطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع قطة بشبرا مصر

بسم الآب والابن والروح القدس
إله واحد . آمين

مطبعة الخلاص

مقدمة

كلمات الرب يسوع علي جبل الصعود هي آخر كلماته للمؤمنين فيما يختص ببداية الأرسالية للعمل والتشجيعات المطلوبة . وكلماته في سفر الرؤيا هي آخر ما قاله للمؤمنين بخصوص نهاية الارسالية والأمجاد المنتظرة. أما كلماته علي الصليب فهي آخر ما قاله للعالم أجمع – خطاة ومؤمنين – فى نهاية خدمته العلنية .

ولعل من أهم وأصدق ما ينطق به المرء هو ما ينطقه في مواجهة الموت. فالمرائى لا يستطيع أن يرائى بعد ، والمخدوع يكتشف الحقيقة المؤلمة ولكن بعد فوات الأوان ، واللاهي فى سكر وخمار وهموم العالم ينتبه الي واقع حزين حيث لا ينفع ندم ولا حسرة ، وأيضا المؤمن الأمين يستقبل الأبدية بابتهاج عظيم .

دعونا نقترب بقلوب خاشعة وننصت الي تلك الأقوال التي قالها الرب عليّ الصليب ، فهي بلا شك غاية في الأهمية ، ولن نعني فقط بالتفاسير اللاهوتية للكلمات بل أيضا بالمعاني العملية المتضمنة فيها حتي نستفيد منها ونحيا بموجبها .

(١)

اغفـــر لهم

« يا ابتاه اغفر لهم لأنهـم لا يعلمون مـاذا يفعلون »
(لو ٢٣ : ٣٤).

كانت الشمس قد بدات لتوها تصعد الي كبد السماء فى ذلك اليـوم المشهود ، وكانت أورشليم تضج بجموع البشر الغفيرة التي ملأت شوارعها وأزقتها الضيقة في ايام العيد . وان كان هذا الاقبال الجماهيرى أمرا معتادا فى كل عام في مثل هذا الوقت من السنة الا ان هذه المرة كان لها ما يميزها، اذ أن شهرة يسوع الناصرى التي طبقت الآفاق قد جذبت حب استطلاع نسبة كبيرة من الشعب الذين صعدوا لكي يروا معجزاته وليسمعوا تعاليمه وما اذا كان حقا سيملك علي كرسي داود أبيه ويبدد الأعداء . بل كان هناك شيء آخر وهو عداء السنهدريم للمسيح الذى بات واضحا ، ماذا سيفعلون؟ وهل يمكن أن يتحد الأعـداء معا ـ السنهدريم والدولة الرومـانية ـ ضد المسيح ؟! وهل ستنشب معركة حاسمة ذات أبعاد سياسية خطيرة ؟! كل هذه التساؤلات دفعت جمهورا كبيرا ليصعد في أعقاب الرب الي أورشليم في تلك السنة .

فى الواقع انه علي قدر ما كان البشر يضمرون البغضة الشديدة للرب، فان قلبه كان يكن لهم كل حب واشفاق . حقا كانت هنـاك معركة قادمة ، لكنها لم تكن بين عـدوين ، بل بين محبة الله وبغضة البشر ، بين عطف الله وحسد البشر . كان الرب يعلم بكل ما سيأتى عليه ان هو صعد الي اورشليم وكانت الكأس التي ستعطى له هناك غاية في المرارة ، كأس آثام البشرية ، بل كان أصدقاؤه يترجونه ـ عن جهل ـ الا يذهب . لم يكن هناك شيء واحد يدفعه للصعود الي أورشليم سوى محبته الفائقة المعرفة ، ورغبته الشديدة فى اتمام فدائنا وخـلاصنا ، فثبت وجهه ليصعد الي أورشليم . « الله بين محبته لنا لانه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٦ ـ ١٠).

بل انه وهو علي مشارف المدينة المـرتفعة الي السماء نرى دمـوعا سخينة تنحدر من عينيه وتسيل لتبلل لحية رجل الأوجاع . ليست دموع الم او خوف بل دموع حب ، حب للأعداء الذين في مواجهته ، حب لمن هم مزمعون أن يمزقوا جسده بالسياط بعد قليل . كان يتمني لهم السلام لكنهم رفضوه ، وكان ينتظرهم هـلاك رهيب لا يتوقعونه ، لـكنه بعينيه اللتين تخترقان أستار ظلام المستقبل كان يرى ذلك الهلاك ، فحزن لأجلهم ، أنه يحبهم الي المنتهي !! ألا تعلم يا من تتجاهله حتي الآن وتتحاشي سماع كلامه انه يحبك ؟ انه حتي فى يومنا هذا ينظر الي كل انسان بعيد عنه ويحزن علي مصيره . انك بابتعادك عنه تجلب علي نفسك هلاكا سريعا . أنه يعلم كم هي قاسية جهنم !! الا تستجيب لنداء حبه وترجع فتحيا ؟!

* * *

وهنـاك في مواجهة مشاعر الحسد والبغضة من اليهود ، والغـدر والخيانة من الأصدقاء ، والقسوة الدموية والكبرياء من الأمم ، وقف يسوع صامتا !! كان ينبغي له أن يشرب الكأس من يد أبيه . وتبـدأ المحاكمة من دار رئيس الكهنة مـرورا بدار الولاية وقصر هيرودس ، وتنتهي فى هضبة الجلجثة . شتائم ، صفعات ، تجديف ، هزء وسخرية ، سياط ، مسامير حديدية غليظة تخترق الجسد الواهن . كان هذا هو الرد الأخير علي محبته الفياضة !! ماذا نظن بعد ؟ ماذا ستفعل المحبة الجريحة ؟ حسنا ، طالما انهم رفضوا باصرار ، فلتتركهم للآب الغاضب ، الذى سلم له الابن أمره (ابط ٢ : ٢٣)، حتي ينزل بهـم هـلاكه السريع ، فتنشق تلك الأرض الصخرية وتبتلعهم ، أو تنهال الصواعق علي رؤوسهم فتسحقهم ..!! لكن مهلا فمحبة الله اعظم مما نتصور !! فهـا هو المصلوب يرفـع رأسه لأعلي مخاطبا أباه السماوى ونسمعه يقول « اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ». وكأني به يقول « انتظر يا أبتاه أرجوك ، لا تنتقم منهم الآن ، أحجز غضبك وقتا آخر، أنا أعلم انهم اكملوا مكيال اثمهم بصلبي ، اني أعلم انهم لا يستحقون بعد أية شفقة ، انا اعـلم انك تريد الانتقام لى ، لكن بحق محبتنا الأزلية انتظر ، هناك مخدوعون وعميان ، هناك عبيد مسوقون ، بل اني اسمع وقع اقدام تائب مسكين طالبا العفو بجوارى ... اغفر لهم »!! ما أعجب هـذا الحب

الذى لم ينطفىء بعد ، أنه حب ليس من دنيا البشر ، حقا أن سيول الهاوية **لا تطفئه !!**

من المقصود ؟

لكن دعونا نتساءل : لقد كان الرب عندما يغفر لخاطىء تائب يقول له بسلطان « مغفورة لك خطاياك » فلابن الانسان سلطان علي الأرض أن يغفر الخطايا (مر ٢ : ١٠)، فلماذا لم يفعل هكذا الآن بل فوض الأمر للآب ؟ ثم أن الشرط اللازم توفره في الانسان حتي ينال الغفران هو التوبة والايمان (مر ١ : ١٥)، فكيف يمكن أن تغفر خطايا هؤلاء القوم الذين خلت قلوبهم من اية توبة أو ايمان ؟ لو حدث هذا لتزعزع عرش عدالة الله ، حاشا . أيضا كانت هذه الشفاعة من نصيب قوم هم « لا يعلمون ماذا يفعلون » فهل كان كل الواقفين عند الصليب لا يعلمون ماذا يفعلون ؟.

كلا ، كان هناك من يعلم جيدا ماذا يفعل !! فى مثل الكرم والكرامين (لو ٢٠ : ٩ – ١٩) نجد الكرامين – أى رؤساء الأمة اليهودية – يشيرون الى ابن صاحب الكرم قائلين « هذا هو الوارث . هلموا نقتله لكى يصير لنا الميراث » ماذا يعني هذا ؟ يعني أنهم كانوا يعلمون جيدا أن هذا هو الابن الحبيب ، الوارث الوحيد ، صاحب الكرم الشرعي . اذا لم يكن القتل خطأ بل عمدا ! ولا عجب ان راينا رؤساء الكهنة والكتبة يدركون فور سماعهم للمثل انه يقصدهم ، فهم يعرفون حقيقة نفوسهم ، كانوا دارسين جيدا للناموس والأنبياء وبالتالى كل النبوات التي تتكلم عن المسيا الآتي ، اية نبوة منها لم تتحقق كاملة فى المسيح من ميلاده حتي صلبه ؟ ولا واحدة . هذا بلا شك يؤكد لهم أنه المسيح « ابن المبارك ». لكنهم لما عرفوا ذلك لم يسلموه حقه في الكرم ، بل خافوا علي مراكزهم وامجادهم الأرضية ، ولم يرغبوا في التخلي عنها اذ أحبوا مجد الناس اكثر من مجد الله ، فسلموا انفسهم للشيطان فقسي قلوبهم وأعمي بصيرتهم وشل ارادتهم وقادهم لقتل الابن الوحيد !! شيء واحد لم يكونوا علي علم به وهو انهم بفعلتهم تلك انما يتممون مقاصد الله الأزلية ، في خلاص الجنس البشرى . هؤلاء خارج نطاق شفاعة الرب تلك ، اذ انه لا أمل فى توبتهم ، لأن الذين استنيروا مرة وراوا عمل الروح القدس ، وسمعوا كلام الله الصالح ، وعاينوا قوات الدهر الآتي ،

ثم قسوا قلوبهم وارتدوا الي الوراء طمعا في مجد أرضي لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة (عب ٦ : ٤ – ٦). لاحظ يا اخي أننا لا نقول أنهم اذا تابوا وعادوا للرب فسوف يرفضهم ، كلا فالرب يقول « من يقبل الي لا أخرجه خارجا » (يو ٦ : ٣٧)، لكننا نقول انهم لن يستطيعوا التوبة والرجوع لأن استمرار رفض محبة الله انما يقسي القلب حتي يصير حجريا لا يتأثر بعد بأى شيء ، ولا يمكنه الندم والتوبة حتي ولو قام واحد من الأموات (لو ١٦ : ٣١). أليس هذا ما أثبتته الأيام ؟ بلي ، فعندما علم هؤلاء الرؤساء أنه قام لم يتوبوا بل أعطوا فضة للعسكر واوصوهم أن يدعوا أن تلاميذه قد سرقوا الجسد وهم نيام !! وواصلوا اضطهادهم للتلاميذ رغم كل القوات التي كان الروح يجريها علي أيديهم !!

دعونا ننظر الي أنفسنا قليلا ونقول أن هؤلاء القوم يشبهون رواد الكنائس فى هذه الأيام ، الذين طالما سمعوا وقرأوا عن المخلص لكنهم لم يسلموه حياتهم بعد ، ولم يتوبوا عن شرورهم حتي الآن ، بل كلما سمعوا يقسون قلوبهم ويخرجون كما دخلوا ، وباستمرار التأجيل واهمال فرص التوبة يتقسى القلب ولا يعود يتأثر بقرعات الروح القدس ، ويكون المصير مرعبا !! حذار من الاهمال والتأجيل يا أخى .

من اذا المقصود بهذه الطلبة ؟ كانت عينا الرب وهو علي الصليب تريان من بين تلك الجموع الحاشدة غنما لا راعي لها ، لا تعرف شيئا ، لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد (١كو ٢ : ٨)، يتبعون القادة الدينيين ظنا منهم انهم بلا شك علي صواب . أنهم علي أستعداد للتوبة لو علموا من هو هذا المصلوب ولماذا هو كذلك ، وكيف تمت فيه وبه كل مقاصد الله . وهذا ما حدث في يوم الخمسين مع الثلاثة الآلاف نفس ، هؤلاء لم يكونوا يعلمون ماذا يفعلون ، لكنهم لما علموا أن يسوع هذا الذى صلبوه قد جعله الله ربا ومسيحا ، نخسوا فى قلوبهم وتابوا ، وعندئذ غفر لهم الآب بناء علي شفاعة الابن التي نحن بصددها الآن . اذا لم تكن تلك الكلمات تصريحا بغفران ابدى حدث وقتها ، لكنه بمثابة « شيك علي بياض » يقدمه الابن ممهورا بدم ذبيحته الكفارية ، وكأنه يقول للآب « بحق دمي المسفوك هذا ، أقبل كل مجرم أثيم يأتى اليك تائبا مؤمنا من هؤلاء المسوقين الذين لا يعلمون ماذا يفعلون » .

ودعونا لا ننسي ايضا أن كل خطية نرتكبها ضد انسان ما انما هي مزدوجة الاتجاه ، فهي اساءة الي الله القدوس وهي ايضا اساءة الي الانسان الذى أخطأنا اليه . ولكي تغفر تلك الخطية نحن نحتاج الي غفران كل من الله والشخص الذى أخطأنا اليه . وهذه الخطية التي نحن بصددها كانت موجهة الي كل من المسيح الذى لم يفعل شيئا يستحق الموت ، والي الله الذى أوصي أن لا تقتل . ولغفران هذه الخطية كان القوم يحتاجون الي غفران كل من الاثنين . ويمكننا بهذا الاعتبار أن نقول ان هذه الصلاة بمثابة تنازل المسيح الشخصي وغفرانه للاساءة الموجهة اليه ، أما غفران الآب للخطية وهو الغفران الأبدى ، فيظل منتظرا توبة وايمان هؤلاء القوم .

اهمية مزدوجة

والآن بعد ما عرفنا معاني هذه الكلمات دعونا نعرف أهميتها لجمهور السامعين ، لماذا نطق بها الرب علي مسمع من الواقفين ؟

أولا : كانت خطية هؤلاء القوم علي قدر كبير جدا من البشاعة والاجرام لدرجة قد يفقد معها أحدهم ـ بعد معرفته لحقيقة خطيته ـ الأمل في ان تكون له توبة أو قبول بعد . فجاءت هذه الكلمات لتطمئنه وتؤكد له ان حب المسيح اكبر بكثير من خطاياه مهما عظمت ، وقوة دمه المسفوك كفيلة بأن تزيل كل اثم مهما كانت بشاعته . ما أثمن هذه الكلمات بالنسبة لك يا من تشكو من ثقل خطاياك وتشك فى ان لها غفرانا !! ثق ، انها تؤكد لك انه سيقبلك ان أتيت اليه تائبا ومؤمنا بموته الكفارى عنك وبدمه الذى يطهرك من كل خطية . ان كان قد قبل توبة صالبيه فبلاشك سيقبلك .

بلا شك كانت كلمات المسيح تلك من اثمن الكلمات بالنسبة لشاول الطرسوسى الذى كان مضطهدا ومجدفا ومفتريا علي تلاميذ الرب ، وقاتلا للكثيرين من اتقيائه ، ولم يكن من السهل أن يصدق أن توبته يمكن قبولها . لكننا نسمعه يقول وكأنه يصادق علي كلمات المسيح هذه « لكني فعلت بجهل في عدم ايمان » (١تى ١٣:١). انه كان من ضمن هؤلاء الذين لا يعرفون ماذا يفعلون !! الا تأتي الآن الي ذلك المخلص المحب تاركا خلفك كل خطايا الماضي التي فعلتها فى جهل وعدم ايمان ؟!

ثانيا : ان هذه الكلمات تقدم لنا المثال الذى يحتذى به في معني وكيفية ومدى محبتنا للأعداء . ان الرب لا يتكلم فحسب بل يرفق كلامه بالعمل لكي يترك لنا مثالا نتبع خطواته (١بط ٢١:٢). ولقد كان استفانوس أحد القلائل الذين تعلموا هذا الدرس ، فبينما كانوا يرجمونه جثا علي ركبتيه وصرخ بصوت عظيم « يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٦٠:٧).

هلا تعلمنا هذا الدرس أيها الأحباء ؟ هل نحب من يبغضوننا ؟ هل نسلم لمن يقضي بعدل ولا نحاول أن ننتقم لأنفسنا ؟ ان كلمة « يا أبتاه » هنا لها من المعاني الكثير ، فثقتي ان الله المسيطر علي كل الظروف هو نفسه أبي المعتني بى ، الذى لن يسمح لي بشيء الا اذا كان لخيرى (رو ٢٨:٨)، هذه الثقة هي التي تدفعني للصفح والغفران ، ويكون لسان حالي « اغفر لهم يا أبي ، فهم لا يعلمون أنهم يتممون مقاصدك الصالحة من نحوى »!! دعونا لا ننظر كثيرا الي شر الانسان والظروف المعاكسة ، بل بالحرى الي مقاصد الله العظيمة التي تقف وراء كل الظروف وتحولها للخير .

* * *

(٢)

لص فى الفردوس

« اليوم تكون معي فى الفردوس » (لو ٤٣:٢٣).

اتماما لنبوة في القديم (اش ١٢:٥٣)، بل وامتدادا طبيعيا لحياته الكريمة المحبة دائما للأثمة والخطاة ، صلب الرب يسوع بين لصين واحد من هنا والآخر من هناك . وهذا المشهد الي جانب انه يعبر عن مقدار التنازل العجيب الذى لربنا المبارك حتي انه أحصي مع اثمة ، الا انه ايضا يعبر عن طبيعة مهمته ، فها هو يأخذ مكان وحكم المجرمين ، فقد كان الطبيعي والحتمى ان نكون انا وانت فى عداد هؤلاء الخطاة وفي وسطهم ونحمل قصاصنا الأبدى مثلهم ، وبالتالى عندما اراد الرب في نعمته ان يأخذ مكاننا وينوب عنا كان عليه ان يذهب الي هناك ويصلب في وسط الأثمة الفجار !!

ربما سمع هذان اللصان مرارا عن «يسوع» الذى من الناصرة ، الذى يصنع معجزات وآيات مدهشة ، لكن طالما جذبهم ابليس بعيدا عنه باهتمامات العالم وتعظم المعيشة والمال وسائر الشهوات . هذا الي جانب أن «يسوع» لم يكن يثير فضولهم لانه ليس ثمة فائدة مادية من ورائه ، ربما لو كان يستخدم قدراته فى أثراء أتباعه لتبعه هذان اللصان مع كل شعب اسرائيل. لكن يسوع وعد اتباعه بالألم والصعاب في الحياة الأرضية ، ولهذا تجد أن من يتبعه حقا انما يتبعه لشخصه ، عن ايمان قلبي حقيقى وليس ابتغاء لمكسب ما . ان الرب حين يشبع الجموع سمكا يتكالبون عليه ، ولكن عندما يمضى الي المحاكمة والصلب يتركه الجميع ويهربون .

لكن يبدو أن الله لم يرد أن يحرمهما من فرصة أخيرة لمقابلة يسوع ، فكانا علي موعد معه فى ظروف لم يتوقعاها اطلاقا ، وسط الجلدات والضربات والشتائم والعرق والدماء والألم الرهيب والمسامير والصليب الخشن !! لكن أحدهما لم يدع تلك الفرصة تضيع بل اغتنمها فنجا !! كم مرة سمعت يا أخي صوت الروح القدس يدعوك الي تسليم الحياة للمسيح وأنت جالس علي مقعد نظيف ومريح في بهو كنيسة مضيئة ، وسط أنغام الموسيقا والترانيم الشجية ، ومع ذلك خرجت كما انت ؟! اى عذر لك ؟! ان كان هذا اللص قد تاب فى مثل هذه الظروف فأنت بلا شك لن تجد عذرا تستتر وراءه، بل سيقوم هذا اللص في اليوم الأخير ويدينك .

مطلب غريب !!

بعد ان تكونت لدينا فكرة وخلفية عن الظروف التي قيلت فيها العبارة موضوع تأملنا ، دعونا نقترب اكثر من مكان الصلبان ونتصت ، فأحد المصلوبين يتحدث الي الرب :« ان كنت ابن الله فخلص نفسك وايانا » !!

غريزة حب البقاء غريزة طبيعية فى الانسان تجعله يتشبث بالحياة حتي آخر لحظة . فطبيعي اذا أن يتمني هذان اللصان – رغم أنهما صارا قاب قوسين أو أدنى من الموت – أن يعودوا الي الحياة مرة أخرى . وهناك أيضا ما يزكي هذه الغريزة الطبيعية في الانسان وهو أولا خوفه من المستقبل المجهول ومن مقابلة الله الذى يعلم الانسان جيدا انه قد خالفه ولم يحفظ وصاياه . وثانيا حبه للأرضيات التي وضع كل قلبه وأمله عليها ، وبذل

عمره فى سبيلها ، كيف يتركها هكذا في لحظة ؟! هذا أمر صعب !! هذان السببان هما أساس كل خوف الانسان من الموت . لكن اذا صار المستقبل مضمونا وسعيدا علي أساس عمل المسيح الكفارى ، واذا صار القلب يشتاق الي السماويات ولا يلتفت للأرضيات ، عندئذ تجد الانسان يتحرر من كل خوف بل يصبح الموت بالنسبة له ربحا (في ١:٢١) !! اذ ينقله من دنيا الشقاء والدموع الي سماء المجد والخلود .

لكن هل كان هذا فقط هو الذى دفع ذلك اللص لأن يقول للرب هذا القول ؟ كلا ، كان هناك شيء بل بالحرى شخص آخر دفعه لهذا القول ، شخص نستطيع أن نميزه من لغته ، انه هو الذى قال للرب قبل ذلك بنحو ثلاث سنوات « ان كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزا »، هل تلاحظ هذا المقطع المشترك « ان كنت ابن الله » ؟! نعم انه ابليس الذى كان اهتمامه فى تلك اللحظات الرهيبة أن ينزل الرب عن الصليب ولا يتمم عمل الفداء !! فبعدما فشل في تجربة الرب علي الجبل حرض بطرس لكي يقول له « حاشاك يارب أن تصلب »، ولما التفت الرب الي الصوت لم يبصر بطرس بل الشيطان المحرض فانتهره قائلا « اذهب عني يا شيطان »! وبعدما فشلت الضربات والجلدات والآلام والتعييرات فى أن تثنى عزم الرب وتصميمه علي اكمال الفداء ، ها هو ابليس يحرض الجموع الواقفين عند الصليب كي يصرخوا « ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب » (مت ٢٧ : ٤٠)، وها هو يدخل حتي في ذلك اللص ويحرضه علي نفس القول .

كان الشيطان يعلم جيدا أن الرب اذا استمر فى عمل الفداء حتي يكمله فستكون هذه هي نهاية مملكة ابليس الي الأبد ، ونهاية سلطانه علي البشر ، وستكون الوسيلة التي بها سيسحق الرب رأسه !! ولو فتح الرب اعين الواقفين لرأوا كل جنود الجحيم ملتفة حول هضبة الجلجثة في محاولة لانزال الرب عن الصليب او قتله قبل اتمام الفداء . لكن شكرا للرب الذى مضي قدما في عمله الكفارى حتي أكمله ، فنجونا نحن !!

لم يكلف الرب نفسه عناء الاجابة علي هذا المطلب لسببين : أولهما أن هذين المجرمين في حاجة الي خلاص نفسيهما من الجحيم ، وهذا هو الأكثر أهمية من خلاص الجسد ، والأهم ينبغي أن يوضع أولا ، لأنه ماذا

ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ولهذا قد اوصانا قائلا : « أطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (مت ٦:٣٣). وثانيهما انهما في ذلك الوقت كانا ينالان جزاء عادلا لتعديهما علي شرائع الله والبلاد ، ولو انقذهما الرب من الموت لكان بهذا محرضا علي عصيان الله والحكومات، وحاشا له ، فهو الذى امرنا ان نخضع للرياسات والسلاطين المرتبة من الله (تيطس ٣:١) .

مطلب عظيم !!

والآن وبعدما رايا انه لا فائدة من محاولة انقاذ نفسيهما من الموت ، اذ بأحدهما يرفع ناظريه الي أعلي وينظر الي ما لا نهاية ، لأول مرة تسنح له فرصة لكي يفكر في المستقبل الابدى والحياة الأخرى . وكأنه يرى في السحب السيارة صورة لحياته التي مضت كسحابة وها هي توشك ان تختفى من الوجود بلا اثر او فائدة . وكأنه يرى في قبة السماء محطة الوصول التي سيصلها بعد قليل ، عند ذلك الاله الذى لم يفكر فيه طوال حياته الاثيمة . وكأنه يرى في الشمس المحرقة التي تلهب جسده صورة مصغرة للدينونة التي تنتظره ويستحقها عن جدارة . عندئذ شعر بخزيه وشره امام ذلك القدوس المصلوب بجواره ، الذى عاش حياة طاهرة نقية نافعة ومفيدة للجميع ، والتفت الي زميله الآخر وانتهره قائلا « أو لا انت تخاف الله اذ انت تحت هذا الحكم بعينه ، اما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس في محله » (لو ٢٣ :٤٠ ، ٤١).

ماذا تعني هذه الكلمات ؟ تعني شيئين :

١ ـ اعتراف اللص بانه خاطيء يستحق ما هو فيه من عقاب .

٢ ـ اعترافه بأن هذا المصلوب بينهما انما هو انسان صالح لم يفعل شيئا ليس في محله .

ما أعظم هذه الخطوة ، الاعتراف بالخطية والايمان بصلاح الرب . لكن هل هذا يكفى ؟ كلا ، فكثيرون يعترفون بأنهم خطاة ، وأكثر منهم هم الذين يعترفون بأن « يسوع الناصرى » كان نبيا صالحا . لكن ليس هذا هو

المطلوب للحصل علي الغفران ، لذلك ظل الرب صامتا حتي بعدما تفوه اللص بهذا القول .

عندئذ التفت اللص الي الرب ، وتأمل وجهه الدامى ، وجسمه الممزق. وتأمل دموعه التي تنساب بهدوء علي وجنتيه وهو يقول «اغفر لهم يا أبتاه». وربما دار في ذهنه في تلك اللحظات اقوال سمعها منذ زمن طويل ، عندما حضر المجمع في احد ايام السبت ، ايام الصبا وقبل أن يجرفه تيار الشر والخطية . هناك سمع ان نبيا قد تنبأ عن المسيح انه سيكون محتقرا ومرذولا من الناس ، وانه سيذبح مثل شاة صامته (اش ٥٣)، وربما اثرت تلك الاقوال في قلبه الغض آنذاك ، لكن توالت الأيام وعلا ضجيجها علي تلك الاقوال ، ولكنها ها هي فجأة تعود للظهور مرة اخرى في ذهنه ، حتما هذا هو المسيح المقصود ، ملك اليهود !! وفجأة ينتبه الرجل من تفكيره ويفتح فاه ونسمعه يقول :

ـ « اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك ».

هذه الكلمات تحمل معنيين هامين للغاية :

١ ـ هي اولا تحمل معني « الايمان » بيسوع انه هو المسيح ابن المبارك ، المخلص المنتظر . بل اكثر فهو «الرب» نفسه . بل اكثر جدا فهو يعترف ويؤمن بملكوت الرب الآتي ، وبديهي اذا انه كان يؤمن بقيامةالأموات الأمر الذى رفض الصدوقيون الايمان به !! ما هذا ، كل هذا الايمان ؟! رغم انه لا يوجد في الظواهر والشواهد المحيطة بالصليب ـ حتي هذه اللحظة ـ ما يشير الي اى من هذه الحقائق ، ومن اين اتي بهذه الحقائق المستقبلة الخاصة بمجيء الرب وملكوته ؟! دعونا لا نتعجب ، فهذا الايمان بلا شك ليس من عنديات ذلك اللص بل هو عطية له من الله (أف ٢:٨)، فالله يعطى الايمان لمن يجد في قلبه الندم والتوبة والاستعداد للقبول . وهذا الايمان الموهوب لا تسأل عن قدراته ، فهو يستطيع ان ينفذ ببصره مخترقا السحب والضباب ومتخطيا كل العقبات والمنظورات حتي يصل الي ما لا يرى بل بالحرى الي من لا يرى ، الي الرب في مجده وسلطانه !!

٢ ـ أما ثانيا فهذه الكلمات تحمل في طياتها طلبا والتماسا :«اذكرني».

لم يطلب الرجل شيئا محددا من الرب كأن ينجيه من الموت أو من جهنم ..، لكنه أحال أمره كلية الي مراحم الرب ونعمته ، فهو طلب خال تماما من اية حيثيات أو دوافع تجعل الرب يستجيب له، فالرجل ليس لديه أى استحقاق بالمرة ، ولم يفعل شيئا حسنا في حياته الماضية ، ولكنه الآن يرى في المسيح ليس فقط « الرب الملك » بل ايضا « الشفيع المخلص »، فيلقي بكل ثقله علي رحمته وعلي عمله الكفارى ، تماما مثل هذا العشار الذى قال « اللهم ارحمني أنا الخاطىء » (لو ١٨: ١٣)، فمن جهتي انا ليس لدى سوى الخطية، لكني ملتجيء الي رحمتك التي ظهرت في الصليب . وفي الواقع هذا هو المطلوب من الانسان : الثقة الكاملة في نعمة الرب وكفاية صليبه لأجل خلاصنا دون أن نعتمد ولو في جزء ضئيل من رجائنا علي شيء صالح فينا ، فنحن لا يسكن في جسدنا شيء صالح بالمرة (رو ٧: ١٨). أخي هل تضع نفسك مكان هذا اللص التائب النادم وتلقي بنفسك الآن علي نعمة الله التي ظهرت في صليب ربنا يسوع المسيح الذى مات نيابة عنك ، وتطلب الغفران والخلاص ؟ أم مازلت تتمسك بأذيال برك الذاتي وأعمالك التي تظنها صالحة حتي تجرك الي قاع الجحيم ؟!

وهكذا نرى ان اللص بعدما « أعترف » بخطيته ، و« سلم » بأن الرب صالح ، نجده يتبع هذا « بالايمان » أى الثقة في شخص المسيح المخلص ، و«يطلب» الرحمة والعفو . لذلك فالرب الذى لم يفتح فاه بكلمة يشفي بها غليل هيرودس الملك الجبار ، نجده الآن يسرع بالرد علي هذا اللص المصلوب! والسر في ذلك هو لغة الايمان والانكسار الظاهرة في طلب اللص ، بعكس الكبرياء والعجرفة التي كانت في قلب هيرودس . هناك كثيرون يصلون كل يوم في الكنائس بلا استجابة . ما السبب ؟ قلوبهم ليست منكسرة ولا منسحقة ولا شاعرة بعدم استحقاقها ، بل منتفخة مكتفية بصلاحها . ألم يقل النبي في القديم « القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مز ٥١ : ١٧) ؟

استجابة أعظم !!

ها هو الرب يفتح فاه رغم انه في شدة الالم والضنك ويقول بلغته الرقيقة المعزية « الحق اقول لك انك اليوم تكون معي في الفردوس ». يا لها

من بشارة لا يمكن ادراك أعماقها !! هل تتصور يا أخي ما معني أن يكون لص أثيم ، لم يفعل شيئا حسنا طوال حياته ، في طريقه بل بينه وبين الجحيم خطوة واحدة ، وفجأة في لحظة ، ينتشل من هناك وينقل الي الفردوس مع القديسين والأبرار الي الأبد ؟! هل تدرك ما تعنيه الحياة الأبدية لنفس مائتة في الذنوب والآثام ؟ هل تعي ما تعنيه المياه الباردة لنفس ظامئة في صحراء قائظة ؟ هذا هو الخلاص ، هذا هو الانجيل !!

ان هذا الخلاص الثمين مقدم الي كل من ادرك نجاسته وفشله في ارضاء الله ، وعرف انه هالك لا محالة ، وعندئذ يثق بل يلقي رجاءه بالكامل علي كفارة وفداء المسيح ، الذى حمل عنا كل قصاص عادل ، ماذا كان يمكن لهذا اللص ان يفعل لخلاص نفسه وهو مصلوب هكذا ؟ بل ماذا يمكن لأى انسان ميت بالذنوب والخطايا ان يفعل ؟ لا شيء بالمرة ، فهذه هي نعمة الله التي تبرر الفاجر مجانا (رو ٣: ٢٤ ، ٤: ٥).

ورب سائل يعترض قائلا : ان خطايا هذا المجرم ينبغي أن تدان من الله . أجل ! لكنها في الواقع قد ادينت فعلا ، كل ما في الأمر أن دينونتها وقعت علي شخص المسيح كالبديل والنائب عن اللص التائب . أما دينونتها بحسب الناس جزاء كسره لقوانين الدولة فها هو ينال بعدل استحقاق ما فعل ، وهكذا يكون حق الله والناس قد أوفي ، وهكذا يرقد مستريح البال، ويذهب الى الفردوس لينضم الي أصحاب الأرواح المبررة والمغسولة بالدم!! وبهذا يكون هذا اللص هو أول من استفاد من شفاعة المسيح التي قدمها الي كل مجرم عندما قال « اغفر لهم يا أبتاه »، طوبي له .

ان ما ناله هذا اللص كان بلا شك اكثر مما طلب ، وفوق كل ما يمكن أن يفتكر : فقد نال غفرانا وتبريرا كاملا وفوريا «اليوم». وهذا ينفي تماما فكرة أن الروح بعد انفصالها عن الجسد تبقي في مكان انتظار قبلما يتقرر مصيرها . فالحقيقة ان لحظة خروج الروح من الجسد تصل الي مقرها الابدى سواء كان الفردوس أو الهاوية .

وقد نال أيضا سعادة أبدية في شركة مع الرب «معي». فالفردوس وحده لا يكفي ، بل أن السعادة الحقيقية هي في الشركة مع الرب ، فهذا هو الذى جعل الفردوس فردوسا !! بل حتي اذا كان المؤمن في شركة مع

الرب في وسط جحيم اضطرابات هذه الحياة فهو يتحـول الي فردوس ، وتصبح نيران الاتون المحماة سبعة اضعاف روضة منعشة ، وجب الأسود جنة !! بل ان الفردوس بالنسبة لهذا اللص بدأ من فوق الصليب !!

بل ان هذا اللص نال من الرب ثقة ويقينا « الحق اقول لك ». فهـل تظن يا اخي أنه بعد أن سمع هذا الوعد المطمئن من الرب يمـكن ان يقضي اللحظات الباقية من عمره في شك وحيرة من جهة مصيره الأبدى ؟ مستحيل، والا أعتبر انه غير واثق فى الرب ووعده ، وحاشا للرب أن لا نثق في كلامه . حسنا ، فماذا عن المؤمنين الذين يقضون حياتهم في شك وريبة وتساؤل عما اذا كانوا مخلصين حقا ام لا ، وهذا فى حقيقة الامر شك وعدم ايمان في وعود الرب التي تؤكد لكل مؤمن حقيقي ان له حياة ابدية لا يمكن ان تفقد ، وانه لن يأتي الي دينونة بلْ قد انتقل من الموت الي الحياة (يو ٣:١٦ ، ٣٦ ـ ٥: ٢٤ ـ ١٠:٢٨ ، رو ٨:١). هذا بغض النظر عن المشاعر ، فالمشاعر متقلبة لا تثبت علي حال ، لكننا لا نبني رجاءنا علي مجموعة مشاعر متقلبة والا لكان رجاء واهيا متداعيا ، بل ليس رجاء علي الاطلاق ، لان الرجاء الذى يعتمد علي المحسوسات والمشاعر ليس برجاء (رو ٨:٢٤)، بلْ نبني رجاءنا علي صخرة كلام الله ووعوده غير المتزعزعة (مت ٧:٢٤). لقد بدأ الفردوس فعلا من فوق الصليب الخشن المؤلم ، ونستطيع ان نلمح علامات السلام والفرح الظاهرة علي وجه اللص الدامي ، لأننا بعد أن تبررنا بالايمان لنا سلام مـع الله (رو ٥:١).

* * *

ان ظروف ذلك اللص تؤكد لنا أن الخلاص لا يحتاج الي أماكن محددة أو طقوس معينة ، والا لو كان هذا صحيحا لما كان هذا اللص قد نال الغفران وهو معلق هكذا بين السماء والأرض فوق هضبة الجلجثة الجدباء . شرط واحد هو اللازم ، التوبة الاكيدة من القلب والثقة الكاملة في شخص المسيح. وبما أن الرب فاحص القلوب موجود فى كل مكان وكل ظرف ، فانك تستطيع الاتصال به في كل مكان وكل وقت. تستطيع أن ترفع قلبك الآن ـ اذا شعرت بحاجتك اليه ـ أينما كنت : فى المنزل ، في العمل ، في القطار ... وسوف تختبر عمليا معني وجود الرب بقربك .

لاحظ اخيرا ان كثيرين سمعوا قول المسيح « اغفر لهم »، لكن واحدا فقط هو الذى اقتنص الفرصة وخطا بالايمان خطوة التوبة فنال الغفران ، بينما الباقون سمعوا وتعجبوا ومضوا كما هم !! وأنت أيها الحبيب ، هل انت من معشر السامعين فقط ، الخادعين انفسهم ، أم السامعين العاملين بالكلمة ؟ ليتك تفتح قلبك الآن للمخلص المصلوب عنك ، ليتك تؤمن به . أنه يحبك شخصيا ، **فهـل تحبه ؟**

* * *

(٣)

عطف واشفاق

« يا امرأة هوذا ابنك .. هوذا أمك » (يو ١٩:٢٦،٢٧)

ما اغرب هذا الحشد من البشر ، وما أشد تباينه !! فنحن نجد فيه فئة من اولئك الجنود الرومان الغلاظ ، ذوى القلوب الصخرية التي تستلذ تعذيب الآخرين . وهناك الكهنة والكتبة الذين تكاد قلوبهـم تنفجر حسدا وبغضة ، وتشع عيونهم مكرا وخبثا . والي جوار هؤلاء نجد « المنساقين »، أولئك الذين يصرخون « أصلبه . دمه علينا وعلي أولادنا » وهم لا يعلمون من الأمر سوى ما قاله لهم رؤساؤهم ، عميان يسيرون خلف عميان !! وأيضا نجد في وسط هذا الحشد قـوما ذوى قلوب رحيمة ، معظمهم ممن شفي يسوع مرضاهم واحسن الي فقرائهم ، هؤلاء هم الباكون الذين يقرعـون صدورهم حزنا وألما علي الرب ، هؤلاء أهتم الرب بأن يصحح لهم فكرهم ، لانه ان كان كل ما فى الأمر مجرد مشاعر اشفاق انسانية فالأولي بهم اذا ان يبكوا علي انفسهم وعلي اولادهم ، لانه بعد قليل سيكون حالهم أكثر مدعاة للأسف من حال الرب ، لانه اذا كانوا ـ الرومان ـ قد فعلوا هـكذا بالعود الرطب ـ يسوع ـ فكم سيفعلون بالعود الجاف ـ اسرائيل ؟ سيحرقونه بالنـــار .

لكن ما يعنينا نحن هنا هم فئة خامسة قليلة العدد ممن تبعـوا الرب

أثناء خدمته وآمنوا به أنه هو مسيح الرب ، بغض النظر عن قوة هذا الايمان أو ضعفه ، عمقه او ضحالته ، فالرب يقدر الايمان حتي وأن كان مثل حبة الخردل ، ويستطيع أن يميز أية نبضة حب خالص في قلوبنا من نحوه . كانت دموع هذه الفئة تختلف عن دموع الفئة السابقة ، فهي ليست مجرد دموع اشفاق علي انسان يتألم ، بل هي دمــوع المحب حين يودع حبيبه الي غير رجعة . هي دموع المحب حين يتألم لألم حبيبه خاصة اذا كان لا يفهم سبب الألم . هؤلاء القوم الذين تبعوا الرب فى كل مراحـــل حياته علي الأرض بالجسد حتي الي الصليب ، لابد أنهم اختبروه بالحق ، وارتبطت قلوبهــم به برباط ابدى لا تفصمه شدائد أو ضيق أو اضطهاد أو جوع أو عــرى أو خطر أو سيف (رو ٨:٣٥). أن المسيحي الحقيقي هو الذى يتبع خطوات سيده في درب الأحزان والطريق الضيق ، أما أولئك الذين متي حـــدث اضطهاد لأجل الكلمة فحالا يعثرون ، أولئك هم مسيحيون مزيفون !!

اتماما لنبوة فى القديم (مز ٣٨:١١)، وقف أحباء الرب بعيدا ينظرونه بألم ، ويخشون الاقتراب لئلا يوقع بهم الجنود اذى ، لكن هناك اثنين فقط استطاعا أن يجتازا الزحام بمشقة حتي وصلا أسفل الصليب ، غير مبالين بنظرات الاستفهام وهمهمات الشماتة التي حولهم ، أحدهما هو ذاك التلميذ الذى اعتاد دائما أن يكون في أقرب مكان من قلب الرب يسوع ، علي صدره، ولكن الآن وقد حالت الظروف دونه وصدر يسوع فليس أقل من أن يكون أسفل صليبه . ليت قلوبنا تتعلق بسيدنا هكذا فنكون دائمــا بقربه : حتي وسط الألم والاضطهاد . أما ثانى الاثنين فقد كانت هي السيدة القديسة العذراء مريم أم يسوع . أنها الآن تفهم وتدرك ــ لأول مرة ــ ما كانت تعنيه كلمات ذلك الرجل الشيخ الذى قابلهــا علي ابواب الهيــكل منذ نحو ثلاثة وثلاثين عاما ، عندما قال لها « وانت سيجوز فى نفسك سيف » (لو ٢:٣٥). ها هو الآن قلبها ينفرط حزنا وألما علي ابنها المصلوب ، وتستند علي ذراع يوحنا لئلا تخونها قواها فتسقط تحت أقدام هذه الجموع . اما نظرها فقد كان معلقا بوجه يسوع وحده ، لا ترى في المشهد سواه ، وهي تتمنى أن يقول لها شيئا . لكن ها هو يرفع نظره الي أعلى ويحرك شفتيه ، واذ تصغي بكل حواسها تجده يخاطب شخصا آخر كان يغيب عن ذهنها فى غمرة التــوتر والألم ــ كما يحــدث عادة معنا ــ « يا أبتاه »! حقا ، هذا هـــو الترتيب

المنطقي ، فأبوه السماوى هو الأحق بالتكلم اليه أولا قبــل أى انسان مهما كان ، وكأنه بهذا يعيد الي ذهننا قوله القديم « ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون فيما لأبي ؟ ». وهناك شيء آخر ، فكأنه يقــول لها : لا تجزعي فحتي هــذه الآلام القاسية هي من يد أبي . هو ــ من خلف الستار ــ يتحــكم ويسيطر علي كل ما يجرى في الأرض ، وهو يهدف بهذه الآلام لغرض سام ، خلاص نفوســكم .

والآن ها هــو يعود فينكس رأسه وتلتقي عينــاه الحانيتان بعينيها الدامعتين فيفتح فاه ويقول « يا امرأة هوذا ابنك ». ويلتفت الي التلميذ الآخر ــ أى يوحنا ــ قائلا « هوذا أمك ». دعونا نتأمل برهة فى هذه الكلمات:

* **« يا امرأة »** : وهذا ليس تقليلا من شأنها ، فالكلمة تعني في الأصل « سيدة »، أى أنها تحمل كل احترام وتقدير . وهي نفس الكلمة التي قالها لها فى عرس قانا الجليل (يو ٢:٤). بل ما يدعونا لتعظيم نعمة الله حقا أنه نفس اللفظ الذى خاطب به المرأة التي أمسكت فى ذات الفعل (يو ٨:١٠)، لقد رفعها بهذا اللفظ لــمرتبة عالية من الاحترام ، بينما المسكون بها كانوا يسمونها « مثل هذه »!! وهكذا يفعل الرب لكل من يقبل اليه : يكرمه ويرفعه ليجلس مع الشرفاء (مز ١١٣:٨).

لكن لماذا يخاطب الرب امه هكذا بدون ألقاب مثل « يا أماه »؟ قــال رجل الله « كروماخر » أن الألقاب العاطفية قد تزيد من جروح قلبها المكلوم وقد تعرضها أيضا لوقاحة الجمع . لكن التفسير الأهم هو أنه يريد أن يلفت أنظارها وأنظارنا الي أنه هنا علي الصليب « حمل الله » الذى يرفــع خطية العالم ، أنه هنا ملك للجميع علي حد سواء ، ملك لكل من يؤمن به ، فالعلاقة الجسدية الزمنية ينبغي أن تسمو الي علاقة أسمى وأعظم ، علاقة روحية بين المخلص والمخلصين ، المقدس والمقدسين ، عــلاقة يكون فيها الأم والأخ والأخت هم أولئك الذين يسمعون كلامه ويعملون به (لو ٨:٢٠)، عــلاقة أوسع وأشمل . ألم يقل بولس الرسول « ان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد (حسب الجسد) » (٢كو ٥:١٦)؟ وهــذا لا يقلل اطلاقا من شأن القديسة العذراء ، فهي التي قالت يوما « تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي » (لو ١:٤٧)، بل بالحرى يجعــل جميع الأجيال تطوبها علي خضوعها وتواضعها وايمانها .

* « هوذا ابنك » : هل يوجد من يستطيع ان يحل محل الرب يسوع بحسب الجسد ، كابن بار ، فى حياة مريم ؟ ان أصلح من يقوم بهذا الدور هو يوحنا الذى تشبع وتغـذى بمحبة المسيح . فالايمان والحمـاس فقط لا يستطيعان ان يقوما بدور الابن الحنون لتلك الأم المـكلومة ، لانهما بدون المحبة ليسا سوى نحاس يطن أو صنج يرن (١كو ١٣:١). ليت أحشاءنا تكون احشاء رأفات المسيح علي كل من حولنا ، بهذا نستطيع أن نثبت أننا ذقنا واختبرنا محبة الرب فعلا .

* « هوذا أمك » : يا له من شرف !! ان يختاره الرب للقيام بهـذه المهمة . لكن هذا هو جزاء كل من يتبع الرب ويكون أمينا الي الموت ، فهذا الطلب ينطوى علي ثقة الرب الكاملة في يوحنا بأنه سيكون جديرا بالمسئولية المطلوبة منه . ومن هو هذا الذى يثق فيه الرب ويحمله مسئولية خدمته ؟ الا الذى لا يبالي بالتجارب والتعييرات بل يتبع سيده حتي الي الصليب ، لقد قال فى القديم «حاشا لي . فاني اكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون » (١صم ٢:٣٠). ان تبعنا الرب الهنا تماما (يش ١٤:٨)، فلابد ان يـكرمنا ويكافئنا ، لأننا ان كنا نتألم معه فـلابد أن نتمجد أيضا معه (رومية ٨ : ١٧).

بل أليست رعاية أم المخلص شرفا عظيما ؟ بلى ، فهي تحتاج الآن الي من يحميها ويطيب خاطرها ويعزيها ويعمل علي راحتها ، وعليه أن يقوم بهذا علي أكمل وجه كما لو كانت أمه . الا تعيد هذه الكلمات الي اذهاننا قـول الرب « ليس أحد ترك بيتا او اخوة او اخوات او ابا أو أما . . . لأجلي ولأجل الانجيل ، الا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتا وأخوة . . . وامهات» (مر ١٠:٢٩)؟ انها أم واحدة لكنها بمثابة مئة أم !! فيوحنا الذى ترك يوما ما اباه وعائلته والسفن والشباك ليتبع الرب ، ها هو الآن يجد له أما حنونا. لا تتأسف يا أخي علي ما ستتركه فى سبيل الرب ، فهو أعظم من كل شيء ، وثق أن كل خيرات السماء لك (تك ٤٥:٢٠)، ثقل مجد أبدى !!

* * *

من قال ان المسيحية لا تعني بالحياة الاجتماعية ، وانها ـ فقط ـ تعني بالحياة الروحية ؟ ان هذه الكلمات التي نحن بصددها تنفي ذلك نفيا تاما .

فالمسيحية وان كانت تضع «الآب» السماوى وعـلاقتنا به في المقـام الأول اللائق به ، فهي تضع « الأم والابن » فى المقام التالي مباشرة . وان كان الرب وهو في أشد الألم لم ينس المحيطين به فهـذا يعلمنا كيف نعني بأقـربائنا ونفضلهم عن انفسنا ونفـكر فيهم أكثر مما نفكر بما لنا . دعـونا اذا نضع أمورنا واقرباءنا وانفسنا فى يدى الآب الحنون ، الحصن الحصين ، والملجأ الأمين، الذى يبقي هو هو الي الشيخوخة والي الشيبة هو يحمل (أش٤٦:٤).

* * *

(٤)

لماذا تركتني ؟

« الهي الهي لماذا تركتني ؟» (مت ٢٧:٤٦)

بعدما انتهي الرب من سد احتياجات الانسان ، طلب الصفح لصالبيه، وغفر للتائب الوحيد ، وضمن سلامة أحبائه المؤمنين ، وبعـد أن تلفت فلم يجد احدا آخر يطلب معونة ، عندئذ رفع بصره الي السماء ليوفي حق الله .

لكن يا لهول ما راى !! فهذه هي المرة الوحيدة التي يرفع فيها بصره الي الله ولا يراه !! لقد وجد ظلمة كثيفة تلفه وتحجب عنه الآب (لو ٢٣:٤٤)، وما حز فى نفسه ان هذه الظلمة لم تكن من صنع البشر او الطبيعة أو حتي الجحيم ، لأن هؤلاء مجتمعين لا يستطيعون ان يفصلوا بين الابن الحبيب وأبيه أو بين أى مؤمن وبين الرب (رو ٨:٣٨ ـ ٣٩)، بل كانت الظلمة من صنع الآب نفسـه ، لقد حجب وجهه مراى المسيح ، وكان هذا هو الشيء الوحيد الذى لا يستطيع الابن ان يحتمله صامتا فصرخ « الهي الهي لماذا تركتني . . ان يتركني احبائى واصدقائى امـر مؤلم للغاية لكن أن تتركني انت فهـذا ما لا احتمله » !!

ما هذه الظلمة يا ترى ؟ الي ماذا تشير ؟ قد تشير الي حـزن الطبيعة علي ربها المصلوب ، وبالطبع قد تشير الي جحافـل الشياطين التي كانت تحيط بالصليب فى تلك اللحظة ، الم يجتمع علي الرب في تلك الساعة « ظلمة

هذا الدهر » (أف ٦: ١٢)؟ بل قد تشير كذلك الي مقدار الكآبة التي طبقت علي نفس المخلصين .

لكنها في اعتقادى تشير الي خطايانا نحن ، لأن الخطية هي الشيء الوحيد الذى يفصل بين الانسان والله القدوس (أش ٥٩: ٢) . طالما كان الرب معلقا علي الصليب بدون خطايا ــ وذلك خلال الثلاث الساعات الأولي ــ كانت العلاقة بينه وبين الآب مستمرة ، فمهما يفعل البشر لا يمكن أن يفصلوا بينهما . دعوا البشر يشتمون ويعيرون ويضربون ويصلبون ويظهرون شر قلوبهم القاسية ، فهذا لن يضير المؤمن قدر ما تضره خطية واحدة !!

لكن مهلا ، فالرب لم يذهب الي الصليب لكي يتألم من البشر ، فكل ما رأيناه حتي هذه اللحظة من آلام سببها البشر كان فصلا اضافيا فى قصة الفداء العظيمة ، أضيف لكي يبرهن عن مدى شر الانسان وفشله التام في التجاوب مع الله . لكن المهمة الحقيقية ولب عمل الفداء يبدأ من الآن ، عندما حلت الظلمة الدامسة فأخفت المصلوب عن عيون الأعداء ، عندئذ وضع الآب كل آثامنا وخطايانا علي كاهل المخلص ، تمهيدا لوقوع الدينونة عليه نيابة عنا . وبمجرد ان وضعت الخطايا عليه حتي أخفي الآب وجهه عنه ، وما أقساه من فراق !! لكن قبل أن نتقدم ــ بكل خشوع ــ لبحث المشهد الذى أمامنا ، دعونا نوضح أمرا لابد منه :

ان هذا الفراق لم يكن بين الأقانيم الالهية ، حاشا . فالله واحد من الأزل والي الأبد ، لكن الفراق كان بين « الانسان » يسوع المسيح وبين الآب . ولهذا نلاحظ أن المسيح قال هنا «الهي» ولم يقل « يا أبتاه » كما سمعناه منذ قليل وكما سنسمعه قبل أن يسلم الروح ، برهانا علي أنه هنا يتكلم بصفته انسانا ، اى بناسوته ، طبيعته البشرية ، فانسان حجب عنه « الهه » وجهه . فالحقيقة التي يجب الا ننساها هي ان المسيح انسان كامل (يو ٨: ٤٠)، روحا ونفسا وجسدا ، بهذا الجسد ولد وأكل وتعب ومات وقام . لكنه لم يكن انسانا فقط ، فلو كان المسيح مجرد انسان لكان موته يكفر عن انسان واحد ، ولكن لأنه كان الها متأنسا فموته يكفر عن العالم كله (١يو ٢: ٢). وان كان اللاهوت قد ظل متحدا بالناسوت الا انه لم يتأثر بشيء من الخطية والعذاب والموت ، فهذا حدث للناسوت فقط .

نعود لموضوعنا ، لقد كان الظلام ايذانا بنهاية دور الانسان في مشهد الصليب وبداية دور الله . فبمجرد أن حدث الظلام حتي فزع الناس وهرع كل واحد فى طريق متوقعين كوارث طبيعية أو شيئا من هذا القبيل ، تاركين المخلص يواجه غضب الله . عجبا لهؤلاء الذين فزعوا من مجرد ظلمة حدثت لشمس الطبيعة بينما هم قد صلبوا منذ قليل شمس البر نفسه بلا أية خشية !! وعجبا لهؤلاء الذين يخافون الظلام الوقتي هذا ولا يحسبون حسابا لأبدية أشد حلكة !! وعجبا لهؤلاء الذين لم يتوبوا ويندموا علي شرهم حتي بعد أن رأوا من الطبيعة الثائرة ان هذا الانسان كان بالحقيقة بارا (لو ٢٣: ٤٧). حقا ان من لا يسمع لكلمة الله الهادئة لا يؤمن ولو قام واحد من الأموات (لو ١٦: ٣١). هل تخشي أيها القارىء من كوارث واضطرابات هذه الحياة ؟ اذا فالحرى بك ان تخشي الله الذى له سلطان أن يلقي الجسد والنفس كليهما في جهنم !!

* **« الهي الهي »** : لماذا قال الرب «الهي»؟ هل لأن صفة البنوية التي كانت صيغة كلامه من قبل قد انتفت عنه الآن ؟ حاشا ، كل ما فى الأمر انه هنا لا يخاطب الآب بصفته الابن الحبيب البار ، بل بصفته نائب المجرمين الأثمة الفجار !! فهل كنا نحن متي وقفنا أمام العرش الأبيض العظيم للدينونة نستطيع ان نقول « يا ابتاه »؟ كلا البتة ، فقد كنا من أب هو أبليس (يو٨: ٤٤)، ان أقصي ما نستطيع أن نقوله آنذاك « يا الهنا »، فهو خالقنا وبارينا، لذلك قال الرب هنا ما كان سيقوله كل واحد منا ، لأنه هنا ينوب عنا .

ولماذا كررها مرتين ؟ لأن الظلمة كانت كثيفة ، والهوة كانت سحيقة، والمسافة كانت بعيدة ، والدينونة كانت رهيبة ، والصرخة كانت بلا جواب!! لم تكن هذه الصرخة من هذا النوع الذى يجاب عليه فورا كصرخة اللص التي تأملناها لتونا ، بل من ذلك النوع الأقرب الي الحسرة واليأس والتعبير عن الألم ، أكثر مما هو تساؤل . فالرب يعرف جيدا سر هذا التحول الوقتي وسببه ، لكنه يعبر عن ألمه وعذابه !! دعونا ننحني بخشوع ورهبة أمام ذلك القلب الكسير المتألم .

والرب أيضا يكررها هنا تأكيدا لتمسكه بالهه رغم الألم والعذاب ، فهو يعلم أن أباه هو المسبب لهذا العذاب وليس البشر مهما قسوا ، ولا

الطبيعة مهما ثارت ، وهو يعلم أيضا ان الآب هـو الوحيد الذى سيكشف الظلمة عندما يستوفي عدله القصاص المعين كاملا .

* « **لماذا تركتني ؟** » : ياله من سؤال لا يمكن ان يسأله انسان ! فكل انسان مهما كان بارا ، الا انه بلا شك يخطىء ولا يستحق فى ذاته ان يكون الله معه . حتي ايوب ظن انه بار وانه صاحب حق علي الله يلزمه بأن يكون معه ، ولكنه ادرك في النهاية انه واهم ، والحقيقة انه ينبغي ان يرفض ذاته ويندم فى التراب والرماد !! وشمشون عندما فارقه الرب لم يسأل «لماذا»؟ فهو يعلم السبب جيدا ، وهكذا كل قديسي العلي يدركون عدم استحقاقهم الشخصي . اما هذا «القدوس» الذى لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش (١بط ٢ :٢٢)، فهو الوحيد الذى يحق له أن يسأله « لماذا تركتني .. فأنا لم افعل شيئا واحدا خطأ ، بل اني مجدتك علي الأرض ». الا يدرك السبب؟ بلي ، فهو يعـلم جيدا انه يحمل ـ باختياره ـ خطايانا وهي سبب هـذا التحول ، لكنه كما قلنا يعبر عن شدة آلامه وعذابه النفسي ، فكم كانت قاسية تلك الشرور والآثام علي طبيعته القدوسة التي لم تعرف الخطية ، كم كانت قاسية !!

عجبا للبعض الذين يدعون أن الله الرحيم لن يلقي بأحد فى الجحيم الي الأبد ، ويدعون بأنه سيكون قاسيا فظا لو فعل ذلك !! حاشا ، الي هـؤلاء الواهمين القائلين سلام سلام وليس سلام ، نقول : انظروا الي منظر هـذا الابن البار المعذب علي الصليب ، هل تظنون ان الله العادل الذى لم يشفق علي ابنه عندما وضعت عليه خطاياكم بل اوقع عليه الدينونة كاملة ، واجاز فوق رأسه كل تيارات الجحيم (مز ٤٢ :٧ ، ٨٨ :٧)، هل سيشفق عليكم انتم ؟ انتم يا من احتقرتم ابنه وعوجتم كل مستقيم ، وشربتم الاثم كالماء ؟ بالمقارنة مع ما اجتازه الفادى علي الصليب تبدو الجحيم والـوقائد الابدية ضرورة عادلة لكل نفس اثيمة رفضت قبول هذا الفادى ملكا وسيدا عليها ، والآب الذى هان عليه أن يحجب وجهه عن ابنه الحبيب يوما مـا ، سيهون عليه بلا شك ان يقذف بكم الي العذاب الابدى ، والابن الذى احتمل لأجلكم موت الصليب ، سيأتي اليوم الـذى فيه يجلس علي كرسي القضاء ويصيح فيكم « اذهبوا عني يا ملاعين الي النار المعدة لابليس وجنوده » (مت٢٥ :٤١). ليتكم تفيقون من وهمكم هذا وتهرعون الي المخلص ، الرب يسوع المسيح ،

طالبين الأمن والحماية من عـذاب الله وغضبه المعلن من السماء علي فجور الناس واثمهم ، قبل فوات الأوان .

ولك يا أخي المؤمن اقول أن الآب قد ترك الرب علي الصليب لكي لا يعود يتركك انت بل يمتعك بحضوره الدائم . وها هو الرب يقول لنا « ها أنا معكم كل الأيام الي انقضاء الدهر » (مت ٢٨ :٢٠). الا يجعل هذا قلبك يفيض فرحا وشكرا ؟ فلا صلاة بدون استجابة بعد الآن ، ولا اتون بدون الرابـع الشبيه بأبن الآلهة ، ولا وادى ظل الموت بدون رفقته ، ولا تعب بدون اكليل، يا للمجد !! دعونا نتمتع بمعية الآب والابن والروح المعزى لنا كل ايام حياتنا ولنكن شاكرين .

* * *

(٥)

أنا عطشان

« أنا عطشان » يو ١٩ :٢٨).

صرخ الرب من الأعماق « الهي الهي لماذا تركتنى »، لكن هذه الصرخة وجدت باب السماء موصدا فترددت في جنبات المكان وعاد صداها الي اذنى الحبيب ، معلنا ان الكأس التي اخذها من الآب لابد أن يشربها حتي الثمالة. فأحنى رأسه الكليل تحت ثقل الدينونة الرهيب ، وظل صامتا كنعجة صامتة امام جازيها فلم يفتح فاه . ومرت الدقائق والساعات ثقيـلة كأنها الأبد ، والظلمة تزداد حلكة ، والعذاب يزداد استعارا . لقد كان الرب يجتاز آلام الجحيم التي كنا سنجتازها حتما للأبد .

واخيرا بعد ان مرت ثلاث ساعات كاملة ، أحس الرب أن الظلام قـد انقشع ، والحمل قد أزيح والنيران قد خمدت ، فرفع عينيه مرة أخـرى للعلى ، وعندها التقت عيناه بعيني الآب مرة أخرى ، ولاح ثغره البسام ، اذا لقد انتهت الدينونة ، لقد استوفى العدل الالهي حقه كاملا عن كل خطية عملها بنو البشر . كم فرح الرب ! كم تنفس الصعداء ! لقد اتم المهمة المكلف بها،

فداءنا . وكانت قواه عندئذ قــد خارت وكاد يسلم الروح . مع العــلم أن وسيلة الأعــدام بالصلب كانت تستغرق عدة أيام قبــل أن يلفظ المصلوب انفاسه الأخيرة ، وهذا دليل علي أن الرب كان يجتاز آلامــا أقسي بكثير من مجرد آلام الصليب ، ولذلك نقرأ أن بيلاطس تعجب أن يسوع مات هــكذا سريعا (مر ١٥:٤٤).

ولكن بسرعة تواردت في ذهن الرب النبوات التي قيلت عنه قديما ، ووجدها قد تمت كاملة ما عدا واحدة لم تتم بعد وهى « فى عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩:٢١). الم يكن الرب قد عطش ؟ بلي ، بعد اجتيازه في هذا اللهيب الجسدى والنفسي والروحي ، حتي تحولت رطوبته الي يبوسة القيظ (مز ٣٢:٤)، ويبس حلقه (مز ٦٩:٣). ويبست مثل شقفة قوته ولصق لسانه بحنكه (مز ٢٢:١٥)، شعر انه فى حاجة الي قطرة ماء يبرد بها لسانه، تماما كما شعر بذلك الغني وهو في الهاوية (لو ١٦:٢٤)، والم يجتز الرب لهيب الهاوية وهو علي الصليب ؟ بلى . لهذا كله قال « أنا عطشــان ».

لكن هل تظن أن هذا العطش كان جسديا فحسب ؟ كلا ، انه أيضا .

* **عطش الي الله :** فالدينونة التي فصلت بين المخلص والله قد ولدت في نفسه عطشا روحيا ، عطشا الي الله ، فالرب بعد أن تحول عنه الآب لمدة ثلاث ساعات شعر بعدها بالشوق الي الشركة مع الله . انه العطش الموجود في قلب كل انسان من نحو الله ، فالانسان مفصول عن الله بسبب خطاياه ، وهو يشعر بظمأ داخلي شديد ، وهو يحاول جاهدا أن يروى عطشه هذا بأن يدلي بدلوه فى آبار شهوات وملذات وملاهي هذا العالم ، لكن هيهات فهي آبار مشققة لا تضبط ماء (ار ٢:١٣)، فهو يمسي اكثر عطشا ، فــكل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا (يو ٤:١٣). لذا فلسان حال كل انسان بعيد عن الله هو « أنا عطشــان ».

لقد عطش الرب نيابة عنك لكى يعطيك الأرتواء الحقيقى ، فهو الذى قال « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الي الأبد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الي حياة ابدية » (يو ٤:١٤)، وقال أيضا « ان عطش أحــد فليقبل الي ويشرب » (يو ٧:٣٧)، و« من يؤمن بي فــلا يعطش ابدا » (يو ٦:٣٥). ما هذه المياه التي يعطيها ؟ الروح القدس ، روح

الله نفســه الذى يأتى ويسكن في قلب كل من يقبل المسيح مخلصا شخصيا (أف ١:١٣)، فيشبع جوعه ويروى ظمأه ويملأ فراغ قلبه ، فيدوس بعز علي كل مغريات العالم . هل شعرت بهــذا الأرتواء أم مازلت تلهث خلف سراب هذه الحياة ظنا منك أنك واجد فيها شبعا وارتواء ؟ انك مخدوع ! هذا الماء لا يروى ، تعال الي المخلص ، لقد عطش نيابة عنك كي يهبك الأرتواء الحقيقى ، خذ منه ماء الحياة ، بل أنهار الماء الحي . لقد سبقك الي هــذا الماء المئات بل الألوف بل الربوات ، ويستطيعون أن يشهدوا لك انهم وجدوا السعادة الحقيقية والأرتواء النفسي فى شخص المسيح ، فمن صخرة الجلجثة الجدباء تدفقت انهار الماء الحي !!

* **عطش الي النفوس :** لكننا نستطيع أن نقول أيضا ان هذا العطش كان عطشا لخلاص النفوس ، فالذى دفع الرب الي اعتلاء الصليب هو شوقه الشديد لخلاص العالم ، ألم يقل مرة أن طعامه هو أن يفعل مشيئة الــذى أرسله (يو ٤:٣٤)؟ وما هي مشيئة الآب الــذى أرسله ؟ أن جميع الناس يخلصون والي معرفة الحق يقبلون (١تى ٢:٤).

ليتنا أيها المؤمنون نحب بدورنا الخطاة المحيطين بنا ونشتاق لخلاصهم، وليكن طعامنا هو أن نعمل مشيئة الذى أرسلنا قائلا « أذهبوا الي العــالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر ١٦:١٥)، ونتمم عمله .

* لكن كما قلنا فهذه المعاني الروحية لا تنفي العطش الجسدى الذى كانْ يشعر به الرب ، وحاجته الماسة الي الماء . وها نحن نرى أحد العسكر يركض الي قطعة أسفنج ويغمسها في خل ، ويضعها علي قصبة ويسقيه . هذه هي ثاني مرة يقدم فيها الخل للرب ، المرة الأولي كان الخل ممزوجا بمر كوسيلة لتخدير المصلوبين ، ولكن الرب رفض آنذاك أن يشربه ، لانه يريد أن يجتاز الآلام الكفارية وهو فى كامل وعيه وشعوره ، أما الآن ، وبعد أن تمم العمل فهو يشرب الخل اتماما للنبوة ، وبلا شك أن الخل لم يطفيء جــذوة العطش بل اشعلها ، ولم يرطب الحلق بل الهبه أكثر ، لكن هذا هو كل مــا يستطيع العالم أن يقدمه ، لا تنتظر منه اشفاقا أو عناية !

* * *

عجبا لأولئك الذين يتشككون في وعــود الكتاب ، والمــؤمنين البطيئى

القلوب فى الايمان ، الذين يخشون أن يبنوا حياتهم علي صخرة الكلمة وكأنها ليست ثابتة بدرجة كافية !! انظروا كيف يعتني الرب حتي وهو في أحلك أوقاته باتمام المكتوب ، انظروا كيف يحرص علي أن لا تسقط نقطة واحدة منه !! الا يدفعنا هذا لأن نثق فى الكتاب ونبنى حياتنا عليه بكل ثقة ويقين، فيكون كمرساة النفس الثابتة المؤتمنة ؟!

* * *

(٦)

قد أكمل

« قـد اكمل » (يو ١٩ : ٣٠)

بعدما تناول الرب الخل المقدم اليه تعبيرا عن بغضة الانسان وعناده، وبعدما تأكد انه الآن قد تم كل المـكتوب ، لم يستطع بعد أن يؤجل اعـلان انتصاره الكامل واتمام أمر الفداء ، لأنه يعلم ان عيون جميع المنتظرين فداء في اسرائيل شاخصة اليه ، بل أن الأرض والسماء كلها تنتظر بلهفة هـذه اللحظة ، فجمع كل ما تبقي فى جسده الواهن من قوى وصرخ بصوت عظيم « قـــد أكمل » .

هزيمة في الجحيم

انطلقت هذه الصرخة كالقـذيفة وسقطت علي راس ابليس ، الحية القــديمة ، فخر صريعا مهشم الراس أسفل عقب الـرب (تكوين ٣ : ١٥). وسقطت معه كل اجناده وقواته مهزومة مقهورة . فهـذه الصرخة كانت بمثابة اعلان انتهاء مملكة ابليس الي الأبد ، وانقضاء العهد الذى كان فيه صاحب سلطان علي البشر ، بشرط أن ينضم هؤلاء البشر تحت لـواء الرب الظافر .

لكن وان كان القرار صدر فعلا الا ان التنفيذ الكامل له لم يتم بعد ، لأن العالم مازال رافضا للرب وراضيا بابليس سيدا له . فالشيطان حتي

هذه اللحظة رئيس هذا العالم الشرير (أف ٢:٢)، رغم انه قد دين فعـلا وطرح خارجا كما قال الرب في (يو ١٢:٣١ ، ١٦:١١)، لكن الرب يتأنى في تنفيذ حكمه النهائى علي ابليس وجنوده والعالم الذى تبعه ، الى أن يكمل كنيسته المحبوبة ، التي تتكون من القلة التي انضمت تحت لـواء المخلص المصلوب ، تلك القلة التي تحتمى فى الدم الكريم لم يعـودوا بعد من العالم (يو ١٧:١٤)، والشيطان ليس له أى سلطان عليهم بالمرة ، بل هو بالنسبة لهم عدو مهزوم ، معدود الأيام ، واله السلام سيسحقه تحت أقدامهم سريعا (رو ١٦:٢٠). ففى الصليب ظفر الرب بكل قوات الجحيم مشهرا أياهم (كو ٢:١٥)، وبموته أباد ذاك الذى له سلطان المـوت أى ابليس ، واعتقنا نحن الذين كنا خوفا من الموت كل حياتنا تحت العبودية (عب ٢:١٤،١٥). فهل انت تحت لواء الصليب ؟ هل احتميت في دم المسيح ؟

فـــرح في السماء

بل أن هذه الصرخة اخترقت بسرعة البرق حجب الظلام الكثيف حتي وصلت الي السماء ، حيث ينتظر الجميع هذا الاعلان العظيم ، فهـو سر رجاء كل القديسين الذين فى السماء . ولا تسأل عندئذ عن الفرح الذى صار في السـماء ، لقد تم بالعيان ما كانوا ينظرونه بالايمان ، فلا يغب عن أذهاننا أن مؤمني العهد القديم قد خلصوا بايمانهم بذبيحة المسيح التي لم تكن قـد حدثت فعلا بعد . ولكنها ها هي قد تمت فى ملء الزمان (غل ٤:٤)، وقد رأيناها ، لذا نؤمن ، لكن طوبي للذين آمنوا ولم يروا !

* * *

لو سئلنا عما قد أكمل لقلنا :

* **الخـلاص من دينونة الخطية :** هذا الجانب من الخـلاص ، اى خلاصنا من جهنم ، قد تم كامـلا علي الصليب . عندما شرب الرب كأس دينونتنا كاملة . ولهذا فان كل من يؤمن بالرب ايمانا قلبيا حيا لا يأتى الي دينونة بل قد انتقل من الموت الي الحياة (يو ٥:٢٤)، وينال لحظة ايمانه خلاصا من الجحيم . وهذا هو الخلاص الذى يتم فى لحظة .

ولكن هناك جانبا آخر من الخلاص يتم فى حياة المؤمن كل يوم بل كل لحظة ، وهو الخلاص من عثرات وسقطات الخطية ، الذى يجب أن نتممه بخوف ورعدة (في ٢: ١٢)، ليس خوفا من جهنم بل من احـزان روح الله القدوس الذى سكن داخلنا لحظة ايماننا (أف ٤: ٣٠).

وهناك جانب ثالث وأخير من الخلاص سيتم عند مجيء الرب لاختطاف كنيسته وهو الخلاص من جسد وعالم الخطية بأكمله ، وهو الخلاص الذى صار الآن أقرب مما كان حين آمنا ، حيث أن كل يوم يمر علينا يقرب موعد مجيء العريس (رو ١٣: ١١).

وهذان الجانبان الأخيران رغـم أنهما يحتاجان من المؤمن الي جهـاد وصراع وسهر وايمان يستمر طوال الحياة ، الا أنهما أيضا من صنع الله ، فهو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة (فى ٢: ١٣). وهو الذى يمنحنا القدرة علي السلوك المقدس (يه٢٤)، وهو الذى سينقذنا من الغضب الآتي بمجيئه (١تس ١: ١٠). أى أننا في الأبدية لن نجـد شيئا نفتخر أننا عملناه !! فكل شيء به وله قد عمل ، وبالنعمة نحن مخلصون (أف ٢: ٨)، له كل المجـد!!

❊ **النبوات** : فكل النبوات التي قيلت عن الرب فى العهد القـديم ، من ميلاده حتي صلبه ، كانت لابد أن تتم حتي يكمل الكتاب . فكل طقوس وفرائض وذبائح الناموس كانت رموزا ونبوات عن الفادى المقبل .

ولنذكر في هذا الصدد أنه ان كانت كل نبوات الكتاب الخاصة بالمجيء الأول للرب قد تمت حرفيا ، فهكذا ستتم كل النبـوات الخاصة بمجيئه الثانى وملكه حرفيا ، وليس كما يحلو للبعض أن يفسروها بعيدا عن مضمونها ظانين أن مجيئه وملكه انما هو مجيء وملك روحي وذلك لكي يعطوا أنفسهم سلاما كاذبا ، لكنها ستتم فى وقتها قريبا جدا ، بل في وقت لا يظن أحد سيأتى ابن الانسان !!

❊ **عصر الفرائض** : أعطى الله لمؤمنى العهد القديم الناموس بوصاياه وطقوسه الجسدية التي تناسب ادراكهم المحدود جدا للأمور الالهية الخاصة بالفداء وكفارة المسيح المقبلة وتكوين الكنيسة ، وحاجتهم الي المحسوسات

والملموسات التي تقرب الي ذهنهم الـروحيات ، اذ كانوا كأطفـال قصر (غـل ٤ : ١ ـ ٣).

وعندما فشل الجميع في حفظ الناموس ، أصدر عليهم الناموس حكمه بالموت الأبدى ، وبهذا صارت الوصية التي للحياة هي نفسها للموت (رو ٧: ١٠). ولكن لما جاء المسيح كنائب عنا ، استطاع أن يحفظ الناموس كامـلا طوال حياته ، الأمر الذى فشلنا نحن فيه ، وفى نهاية حياته أسـلم نفسه للموت نيابة عنا تنفيذا لحكم النامـوس علينا . واذ متنا مع المسيح فقـد الناموس سلطانه علينا ، ولم نعد مديونين له بل بالحرى للذى مات لأجلنا وقام . واذ قمنا معه نسلك في جـدة الحياة (رو ٦: ٤)، لا بموجب شرائع ونواميس فيما بعد بل بموجب روح الحياة الذى أخذناه منه (رو ٨: ١، ٢)، أو كما قال الرسل « اذا يا أخوتي أنتم أيضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر ، الذى قد أقيم من الأموات ، لنثمر لله » (رو ٧: ٤).

لقد أنتهي عهد الفرائض والطقوس الجسدية ـ كأسلوب حيـاة ـ اذ سمره الرب بالصليب (كو ٢: ١٤)، فكلها كانت مـوضوعة فقط الي وقت الاصلاح (عب ٩: ١٠]. وها قد أخذنا الروح القدس الذى يستطيع أن يعلن لنا كل الحق دون الحاجة للملموسات (يو ١٦: ١٣). وهـذا الروح يضع المسيح نفسـه مثلا أعلي لنا ، وهذا بلا شك مقياس أسمي بكثير من الناموس الطقسي . أو لم يقل الرب ان برنا ينبغي أن يزيد علي بر الكتبة والفريسيين، أي يزيد عن مجرد فرائض مادية ؟

فكم هو محزن حقا أن نرى مؤمنين حتي الآن يظنون أنهـم ينبغي أن يسلكوا بموجب فرائض مختلفة ، التي كانت مجرد ظلال للعهد الجديد الذى ما أن تم بموت الرب حتي أنتهت الظلال للأبد ، لأنه متي جاء الكامل حينئذ يبطل ما هو بعض ، ولهذا نجد حجاب الهيكل قد تمزق عندما صرخ الرب صرخته تلك وأسلم الروح . لنسمع ما يقوله بولس فى هذا الصدد « اذا ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس لا تذق لا تجس التي هي جميعها للفناء فى الاستعمال وهي حسب وصايا وتعاليم الناس . فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة . ولـكن كما قبلتم المسيح يسوع الرب أسلكوا فيه ـ أى بقوة روحه ـ متأصلين ومبنيين فيه وموطدين في الايمان » (كولوسي ٢).

(٧)

فى يديك روحي

« يا أبتاه في يديك أستودع روحي » (لو ٢٣ : ٤٦).

بعد تلك الصرخة الأخيرة التي استنفدت آخر ما بقي من قوى الرب يسوع ، نجده يرفع نظره الي أعلي وعلي شفتيه شبه ابتسامة ، ويقول بسلطان وليس كمن هو مغلوب علي أمره « يا ابتاه فى يديك استودع روحي » ونكس الرأس وأسلم الروح .

هل من ضرورة لهذا القول ؟ بلا شك ، فقد كان الرب قد اتم كل العمل، وبقي أن يجتاز الموت الجسدى والقبر لكي يكون مجربا في كل شيء مثلنا ، ولكي ينير طريق الموت الذى ظل علي مدى العصور الخالية مظلما غامضا . وبما انه اعتلي الصليب باختياره ، هكذا كان لابد أن ينزل عنه الي القبر باختياره أيضا . فهو له سلطان أن يضعها (نفسه) وليس احد يأخذها منه (يو ١٠ : ١٨)، فهو لم يمت كنتيجة طبيعية للصلب ، بل بكامل اختياره وارادته ، لهذا قال « يا ابتاه فى يديك أستودع روحي ، فهي في سلطاني ، وايضا لي سلطان أن آخذها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام من الآن ، وحتي ذلك الحين هي وديعة عندك ».

نحن لا نستودع أرواحنا عند الله الي حين بل نسلمها له الي الأبد (أع ٧ : ٥٩)، لكنه هو سبحانه الذى يستودع أرواحنا عندنا طوال فترة الحياة ويستردها مرة أخرى عند الممات والي الأبد ، وسوف نعطي عنها حسابا . أما المسيح فلم يكن بشرا عاديا ، فقد كان مزمعا أن يسترد روحه ويقوم ثانية بعد ثلاثة أيام ، فلذا قال « أستودع ».

* **« يا أبتاه »** : كم يسعدنا أن نسمعها من فمك مرة أخرى يا سيدنا ! تلك الكلمة التي علمتنا أن نقولها في صلاتنا . ان نطق المسيح بهذه الكلمة مرة أخرى لهو دليل علي عودة العلاقة الطبيعية بينه وبين الآب ، وانتهاء مشكلة الخطية الي الأبد . له كل المجد !!

* **« فى يديك »** : حيث الأمان والضمان والصون ، حيث يحلو لكل مؤمن أن يسكن (مز ٩١ : ١). أو لسنا نحن في يديه ؟ بلي ، هكذا قال الرب فى (يو ١٠ : ٢٨، ٢٩)، بل نحن منقوشون علي كفيه (اش ٤٩ : ١٦). اذا لماذا القلق والأضطراب الذى يسود حياة الكثيرين من المؤمنين ؟ انه عدم الايمان بكل اسف . ليتنا نعرف أن انفسنا بين يديه ، ونتمتع بمركزنا السامي هذا، ونقضي حياتنا في سلام وأمان كاملين .

* **« روحي »** : أية روح تلك ؟ روح المسيح البشرية بالطبع وليس الروح القدس الذى كان يحل فيه بكل ملء الله ، فذاك لم يفارق جسده لحظة واحدة .

* * *

اخشعي أيتها الطبيعة ، فها هو فاديك يسلم الروح ويموت بعدما اتم كل ما لزم لخلاصك وتحريرك من عبودية الفساد ولنقلك الي حرية مجد أولاد الله (رو ٨ : ٢١). ثم ثورى أيتها الطبيعة علي ظلم الانسان وشره ، أعلني للملأ أنك لست شريكة فى سفك تلك الدماء الزكية ، قولي انك تستنكرين ما حدث ، ولا ترضين به ، قولي انك وان كنت صماء جامدة الا أن قلب الانسان أكثر صلابة وقسوة ، أعلني أن هذا الذى مات لتوه انما هو ملكك العظيم !! وهذا ما حدث فعلا ، فبمجرد أن نكس الرب رأسه حتي انفجر بركان غضب الطبيعة ، فتشققت الصخور وتزلزلت الجبال ، وتفتحت القبور ، وقام الكثير من أجساد القديسين الراقدين ، دليلا علي انتهاء سلطان الموت علي أجساد المؤمنين الي الأبد .

معظم الذين راوا ما حدث خافوا وبحثوا عن مكان يختبئون فيه ، واحد فقط هو الذى آمن عندما رأى هذا وقال حقا كان هذا الانسان بارا (لو ٢٣ : ٤٧) وهو قائد المئة الواقف عند الصليب . وحتي يومنا هذا نجد الصنفين من الناس حيثما تواجدت الكوارث والأضطرابات ، الغالبية العظمى ينشغلون بتفسير الظواهر تفسيرا علميا وسياسيا ، وقلة هم أولئك الذى يستنتجون من هذه الكوارث أن الله «البار» يعلن غضبه علي فجور الناس وإثمهم (رو ١ : ١٨)، فيتوبون .

وتتوالي بضع حوادث بعد هذا ليس لنا أن نتعمق فيها الآن ، بل نمر

عليها سريعا . فها هو الانسان يؤكد قساوة قلبه رغم كل ما يراه ويسمعه، فيطعن جنب الجسد المقدس بالحربة ، فيرد عليه بفيض من الماء والدم ، للتطهير والتكفير عن آثامه !! ومن ناحية أخرى نجد أثنين من المؤمنين الذين يخجلون من الشهادة عن مسيحهم ، وهما يوسف الرامي ونيقوديموس ، قد سئما التخفي والرياء ، فخلعا الأقنعة نادمين علي ما مضى ، وذهبا علانية الي بيلاطس طالبين جسد يسوع ، فان كان خوفهما وجبنهما قد منعهما عن خدمته أثناء حياته ، فليس أقل من أن يخدماه بعد موته عنهما . عجبا لذلك المؤمن الذى يخجل من الشهادة عن مخلصه !! وأظن أن الشيء الوحيد القادر أن ينشله من خجله هذا هو تأمله فى محبة الرب له ، تلك التي ظهرت في الصليب ، كيف لم يخجل هو من آثامنا رغم بشاعتها بل رضي أن يحملها حبا لنا !! الا يذوب قلبك أمام هذه المحبة ؟

وها هو الرب يوضع في قبر جديد ، لم يستخدم من قبل ، تماما كما دخل أورشليم راكبا علي جحش لم يمتطه أحد من قبل ، بل كما جاء الي العالم من طريق لم يسلكه أحد من قبل . لكنه فى نعمته عندما أراد أن يختار احباءه ، أختارهم ممن أذلهم ابليس لسنين طويلة ، ومرر حياتهم في عبودية قاسية !!

واذ ينسحب كل من نيقوديموس ويوسف خارج القبر ، نستطيع أن نلمح فى عيونهما دموعا تنساب في هدوء وهما يهمسان « لك عهدنا يا سيد أن نجاهر بحبك ونشهد لك حتي نلقاك في المجد ، ونرجو أن تغفر لنا تلك السنين التي أكلها الجراد ». واذ يدحرجان حجرا ضخما علي باب القبر ، يمضيان نحو مستقبل جديد وخدمة جديدة .

وبعد ان يغيبا عن انظارنا وراء حاجز الأفق ، والشمس تميل للغروب، نجد مجموعة من النساء الشريفات يتحولن ويمضين في طريقهن بعدما رأين أين وضع الجسد ، وهن يتواعدن علي اللقاء فى صباح الأحد لكي يزرن الجسد المسيحي ، غير عالمات أنه سيكون في انتظارهن مفاجأة مفرحة .. **لقد قام كما قال !!**

خاتمة

ان كان المسيح قد جاء الي العالم وعاش ثم مات وقام ثانية ، فهذه حقائق تاريخية لا تقبل الجدل ، وايمانك بها ايمانا تاريخيا كحقائق مسلم بها لن يفيدك شيئا ، فهو لن يزيد عن ايمانك بأن الأرض كروية وبأنها تدور حول الشمس ... ايمانا عقليا لا يؤثر أو يغير فى حياتك العملية شيئا ، مثل هذا الايمان لا يزيد عن ايمان الشياطين (يع ٢ : ١٩) !!

وكونك مسيحيا لأنك ولدت في بيت مسيحي لن ينفعك شيئا أيضا ، بل أنك أمام الله علي قدم المساواة مع ذلك البوذى الذى ولد فوجد نفسه بوذيا ، أو ذلك الملحد الذى ورث الالحاد عن أبيه !! فأولئك ليس ذنبهم أنهم ولدوا هكذا ، ولا أنت لك فضل أنك ولدت مسيحيا . فالله يريد أن تكون لكل انسان علاقة حية معه مبنية علي اختبار شخصي وليس علي حالة وراثية !!

ان الايمان الحقيقي المطلوب هو الذى يربطك بعلاقة شخصية حية مع الله ، ويصنع بينكما ألفة وسلاما ومحبة ، ويدفعك أن تكرس له حياتك بالكامل وتسلك كما أوصاك . هذا الايمان الحي هو الشرط الأساسى لكى يغفر لك الله ذنوبك ويتخذك ابنا له .

ان التحدى الموجود امامك الآن هو أن تقرر بعزم القلب أن تعطى حياتك للمسيح لكي يجددها ، وأن تحيا من الآن فصاعدا بحسب كلامه مهما تكون الصعاب ، منتظرا المجد الأبدى فى السماء . يمكنك الآن أن تغمض عينيك برهة ، وتخاطب الله بكل قلبك ـ ولو لأول مرة ـ وتطلب منه الغفران والحياة الأبدية علي أساس الخلاص الذى صنعه الرب يسوع علي الصليب ، وله كل المجد الي أبد الآبدين . آمين .